معايير التنكير في التأليف القرآني وخصائصه البلاغية.

أ.د. جاسم عبد الواحد راهي

جامعة كربلاء

Standards of indefiniteness in Quranic authorship and its rhetorical characteristics

Prof. Dr. Jassem Abdul Wahid Rahi

University of Karbala

ملخص البحث

تناولت الدراسة أسلوب التنكير وحضوره في الاستعمال القرآني لتبرز دلالة التنكير إذ إنَّه يُعدُّ من الآليات التي تخفي معاني كثيرةٍ تُغيّر من صيغة الكلام، ممّا جذب إليه العلماء ليبينوا منزلته النحوية والدلالية والفقهية والتفسيرية، فالتنكير هو جعل الاسم نكرة وذلك بالمجيء به دالّاً على شيء غير معيّن، وهذا التعريف متفّق عليه بين النحويين والبلاغيين والأصوليين، إلا أنَّ البلاغيين والمفسرين ينظرون إلى أبعد ممّا يذهب إليه النحاة فيطوفون حول أهداف التنكير وأغراضه.

اشتملت الدراسة على مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة تناولنا في الأول منها التعريف بالنكرة وبحثها عند النحويين والبلاغيين بصورة مختصرة، أمَّا الثاني من مباحثها فقد خصّص لبيان آلية تقسيم النكرة، وخصّص المبحث الثالث لبيان الأغراض المقصود من استعمالها وفق شواهد قرآنية، وكان المبحث الرابع والأخير الذي قد خصّص لتوضيح الألفاظ القرآنية وبيان دلالتها بين التعريف والتنكير في التعبير القرآني. ثم ختمّت الدراسة بخاتمة عرضت أهم نتائج الدراسة ثم قائمة دونت مصادر البحث.

الكلمات المفاتيح:

(التنكير، القرآن، دلالة، الغرض، القصد)

Abstract

The study dealt with the style of indefiniteness and its presence in the Qur'anic use to highlight the significance of indefiniteness, as it is considered one of the mechanisms that conceal many meanings that change the form of speech, which attracted scholars to it to show its grammatical, semantic, jurisprudential and explanatory status. Indefiniteness is to make the noun indefinite by bringing it indicative of something that is not specific. This definition is agreed upon among the grammarians, rhetoricians, and fundamentalists, except that the rhetoricians and interpreters look beyond what the grammarians go to and go deeper into the goals and purposes of indefiniteness.

The study includes an introduction, four sections, and a conclusion. In the first section the definition of the indefinite word and its study by grammarians and rhetoricians is dealt with in a brief manner. The second section is devoted to explaining the mechanism of dividing the indefinite, and the third section is to discuss the intended purposes of its use according to the Quranic evidence. In the fourth and last sections the Qur'anic terms are explained the significance between definiteness and indefiniteness in Qur'an are illustrated.

Then the study is ended with a conclusion that presents the most important results of the study, followed by a list of research resources.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم على عبده، فأعجز أئمة البيان وفرسان البلاغة وأعلام الفصاحة بآياته البينة وحججه الدامغة وحكمه البالغة وأخباره الصادقة وفصاحة لفظه ورصانة نظمه وبلاغة أسلوبه فخرّوا له سجداً وأذعنوا له خضّعاً وأيقنوا أنه كلام ربّ العالمين.

تناولت الدراسة أسلوب التنكير وحضوره في الاستعمال القرآني لتبرز دلالة التنكير إذ إنَّه يُعدُّ من الآليات التي تُخفي معاني كثيرةٍ تغيّر من صيغة الكلام، ممّا جذب إليه العلماء ليبينوا منزلته النحوية والدلالية والفقهية والتفسيرية، فالتنكير هو جعل الاسم نكرة، وذلك بالمجيء به دالًّا على شيءٍ غير معيّن، وهذا التعريف متفّق عليه بين النحويين والبلاغيين والأصوليين، إلَّا أنَّ البلاغيين والمفسرين ينظرون إلى أبعد ممّا يذهب إليه النحاة فيطوفون حول أهداف التنكير وأغراضه.

اشتملت الدراسة على مقدمة وأربعة مباحث، تناول الباحث في مبحثها الأول؛ التعريف بالنكرة وبحثها عند النحويين والبلاغيين بصورة مختصرة موجزة مبيناً المعيارين الشكلي والدلالي المعتمدين في تحديد مفهوم التنكير.

أمَّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لبيان آلية تقسيم النكرة والتطرّق إلى كيفية التقسيم عند العلماء.

وخُصِّص المبحث الثالث لبيان الأغراض المقصود من استعمالها وفق شواهد قرآنية لتقرير أنَّ أغراض التنكير كثيرة تفهم من خلال السياق.

أمَّا المبحث الرابع والأخير فقد خُصِّص لتوضيح الألفاظ القرآنية وبيان دلالتها بين التعريف والتنكير في التعبير القرآني.

ثم ختمت الدراسة بخاتمة عرضت أهم نتائج الدراسة، ثم قائمة دونت مصادر البحث.

اعتمد الباحث المنهج التحليلي، والتطبيقي الذي يتناسب مع موضوع الدراسة؛ لأنَّه يُعنى برصد المسائل التي تندرج تحت هذا الأسلوب من خلال دراستها، وتحليلها وتوجيهها، وخلصت الدراسة إلى أنَّ التنكير في القرآن الكريم قصد به أغراضاً بلاغية متعدّدة.

المبحث الأول: مفهوم التنكير ومعاير تناوله.

التنكير من الأساليب والموضوعات المهمة في التعبير القرآني ويلقى عناية من المفسرين والأصوليين فضلاً عن النحويين والبلاغيين وقد تناولوا مفهومه وحدّدوا وظائفه ودلالاته كما لم يغفلوا العناية بإلقاء الضوء على الجانب البلاغي والجانب الإعجازي؛ لأنَّ في تنكير المفردة القرآنية أهدافاً بلاغية، وهي بتنكيرها تتجّه الى معانٍ لا تحققها المعرفة.

النكرة لغة:

هي (أصل صحيح يدلّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء، وأنكره، لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه)[١]. (والإنكار الجحود، والمناكرة المحاربة، وناكره قاتله، لأنَّ كل واحد من المتحاربين يناكر الآخر، أي يداهيه ويقاتله)[٢]، (والمُنكَرُ من الأمر: خلاف المعروف، وقد تكرّر في الحديث الإنكار والمُنكَرُ، وهو ضدّ المعروف، وكل ما قبَّحهُ الشرع، وحرَّمهُ وكرَّههُ، فهو منكرٌ)[٣].

أمَّا اصطلاحاً:

فيعرّف الزجاجي النكرة: بأنهَّا كل اسم شاع في جنسه ولا يخصّصه واحد من دون الآخر[٤]. ومعنى ذلك أنَّ النكرة لا تدلّ على معيّن، بل تدلّ

على شيء غير معيّن في جنسه يكون مجهولاً بالنسبة للمخاطب. ويعرفها ابن جني بأنَّها: ما لم يخصّص الواحد من جنسه[٥]. وهذا يخالف حدّ المعرفة؛ لأنَّ تخصيص الواحد وتعينه هو حدّ المعرفة.

أمَّا ابن مالك فيعتمد الجانب الدلالي في تعريفه للنكرة فيعرّفها: ما كان شائعاً في جنسه (كحيوان) أو في نوعه(كإنسان)[٦].

لقد اعتمد النحاة معيارين أساسيين في الحكم على النكرة: أحدهما: المعيار الشكلي والآخر: هو المعيار الدلالي. إلَّا أنَّ أحدهما ليس منفصلاً عندهم عن الآخر، وقد يجمع بينهما في عبارة واحدة، يعرّف المبرد الاسم المنَّكر: هو الواقع على كل شيء من أمته، لا يخصّ واحداً من الجنس دون سائره، وذلك نحو: رجل وفرس و...، وكل ما كان داخلاً في البنية في اسم صاحبه فغير مميّز منه، إذا كان الاسم قد جمعهما)[٧]. وفي هذا التعريف يلحظ التوصيف الدلالي.

فالتنكير هو جعل الاسم نكرة وذلك بالمجيء به دالًّا على شيء غير معيّن وهذا أمر متّفق عليه عند النحويين والبلاغيين[٨]. تناوله النحاة في كلامهم عن الأسماء وحالاتها إلَّا أنَّ البلاغيين يذهبون فيه إلى أبعد من ذلك فهم يبحثون عن أهدافه وأغراضه. وقد أدرجوه ضمن موضوعات علم المعاني وأغراضه كثيرة منها: التعظيم والتحقير، التقليل والتكثير، الإفراد التبعيض، والمبالغة والإيهام والتهويل... وغيرها.

لقد كان جهد البلاغيين منصباً على البحث عن الوظائف والدلالات التي تؤديها النكرات في السياقات المختلفة، وقد عالج الشيخ الجرجاني طرفاً مهماً من هذا الموضوع، فهو

يقرّر أنَّ النكرة تدلّ أصلاً على واحد من الجنس، وقد يوجهها السياق الى الجنس من دون الواحد[٩].

أمَّا إذا أُضيفت النكرة سواء كانت من أسماء الأجناس أو من أسماء المعاني فإنَّها تتنوّع بهذه الصفة في معناها (كأن النكرة نفسها قد تعدّدت بتعدّد الصفات)[١٠].

فالنكرة في ذاتها تؤدي في مواطن مختلفة من النصوص دلالات متعدّدة ومتباينة، فكما أنَّها تعطي معنى التعظيم في سياق ما نجدها تعطي معنى التحقير في سياق آخر، فاكتسابها صفة التعظيم أو التحقير ليس لمجرد التنكير بل لإدراكنا مضمون السياق[١١].

فالأغراض المستفادة من التنكير، إنَّما تستفاد من السياق، لا من التنكير وحده. فالسياق هو الذي يدلك على المراد من هذا التنكير.

ففي قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ}[١٢]، وقوله تعالى {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}[١٣].

فكلمة (حياة) جاءت منكرة في الآيتين، ولكنها تدلّ في كل آية على معنى. ففي الآية الأولى تدلّ على أي حياة مهما كانت، وكيفما كانت؛ ولكنها في الآية الثانية تدلّ على حياة عظيمة، حرية بأن يحافظ عليها[١٤].

نلاحظ في قوله تعالى {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} أنَّ لفظ (حياة) جاء منكراً، ومن الممكن في غير هذا المقام أن يأتيَ معرفاً، فما السر البلاغي في تنكير هذه الكلمة؟!

يجيب الشيخ الجرجاني عن ذلك فيقول في كتابه دلائل الإعجاز: (إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير حسناً وروعة ولطفَ موقعٍ لا يُقَادَر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج من

الأريحية والأنس إلى خلافهما. والسبب في ذلك أنَّ المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرص عليه إلا الحي، فأمَّا العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها، وإذا كان كذلك صار كأنَّه قيل: ولتجدنهم أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا)[١٥].

فهم حريصون على حياتهم بأي شكل من الأشكال، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا بأي حال. ولو قيل: ولتجدنهم أحرص الناس على الحياة، لاقتضى ذلك أنَّهم أحياء وهم حريصون على استمرار هذه الحياة التي يعيشونها لا على أي حياة.

حكم الاتيان بالنكرة هنا هو لتحقيق فائدة يقصر عن إفادتها العَلَم والمعرفة لأمرين؛

الأول: لأنَّه لا يحرص إلَّا الحي، وهو لا يستقيم حرصه على أصل الحياة المعهودة، وإنَّما يتوّجه حرصه على الازدياد من الحياة في الأزمنة المستقبلية، وهذا إنَّما يكون إذا كانت نكرة؛ لأنَّ المعنى فيها على أنَّهم أحرص الناس على أنْ يزدادوا حياةً الى حياتهم، ولو عاشوا ما عاشوا.

الثاني: لأنَّها إذا كانت نكرة فالتنوين مصاحب لها وعلى هذا يكون معناها، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة أي حياة؛ لأنَّها مسوقة للمبالغة، ولن يكون كذلك إلَّا بالتقدير الذي ذكره العلماء وهو الحرص على الازدياد من الحياة في الأزمنة المستقبلية.

وقد ذهب النسفي إلى القول: ((و أَحْرَصَ عَلَى حَيَاةٍ)، التنكير يدلّ على أنَّ المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة)[١٦]، والبيضاوي أشار كذلك في تفسيره بقوله: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)، من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه

هم وأحرص الناس وتنكير حياة؛ لأنَّه أريد بها فرد من أفرادها وهي: الحياة المتطاولة)[١٧]، ويرى الشوكاني: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ)، جواب قسم محذوف وتنكير حياة للتحقير أي إنَّهم أحرص الناس على أحقر حياة وأقل لبث في الدنيا فكيف بحياة كثيرة ولبث متطاول؟ وقال في الكشاف: إنَّه أراد بالتنكير حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة وتبعه في ذلك الرازي في تفسيره)[١٨].

وهكذا قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}، لأنَّ الواحد منَّا إذا علم أنَّه قَتَل قُتِل، فإنَّه لامحالة يرتدع عن القتل فيسْلَم هو وأصحابه فتصبح حياة كل واحد منهما في المستقبل مستفادة من جهة القصاص، مضمومة إلى الحياة الأصلية ولا يحصل هذا إلَّا مع التنكير؛ لأنَّه يفيد التجدّد. والتعريف لا يعطيه[١٩].

المبحث الثاني: تقسيم النكرات:

لقد تكلم النحاة عن النكرة في أبواب كثيرة منها مسوغات الابتداء بالنكرة، واسم (لا) التي لنفي الجنس، ولكنَّهم لم يذهبوا إلى تقسيمها وإنَّما كان حديثهم منصباً على معرفة النوع المناسب للمقام الذي ترد فيه ومن خلال استقراء كلامهم نستطيع أنْ نقول أنَّهم جعلوا النكرات على نوعين:

١- دلالتها على العموم المطلق الذي لا خصوص فيه؛ ومنه النكرة التامة أو المحضة أو المفردة وهي التي تكون شائعة بين أفراد مدلولها مع انطباقها على كل فرد مثل (رجل)، فإنَّها تصدق على كل فرد من أفراد الرجال؛ لعدم وجود قيد يجعلها مقصورة على بعضهم البعض من دون غيرهم، وتسمى تامة: لأنَّها لا تحتاج الى شيء بعدها من نعت وغيره ممّا يقيد إطلاقها ويخفف ابهامها[٢٠]، ومن النكرات المحضة

ـ ألفاظ العموم قوله تعالى: {كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ}[٢١].

ـ والنكرة في سياق النفي وشبهه تعم: قوله تعالى: {أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ}[٢٢].

ـ أسماء الشرط وأسماء الاستفهام.

ومن النكرة المحضة ما أطلق عليه النحاة: الأسماء الموغلة في الإبهام: مثل غير ومثل وشبه. للاسم النكرة في العربية درجات ومراتب يتراوح فيما بينها من حيث دلالته على العموم والخصوص، (فكلما كان الاسم أكثر إيغالا في الإبهام كان أكثر دلالة على الشياع، ثم يتدرّج في دلالته على العموم وصولاً إلى أعلى مراتب التنكير في الدلالة على العموم وأدنى مراتب التعريف في الدلالة على التخصيص،إذ تلتقي قمة التدرّج الهرمي للتنكير بقاعدة التدرّج الهرمي للتعريف عند منطقة يطلق عليها النحاةالتخصيص)[٢٣].

يقول الزملكاني: إنَّ (النكرات متفاوتة في مراتب التنكير، فكل نكرة هي أعمّ من غيرها فهي أبهم منه في الوضع)[٢٤].

٢- دلالتها على العموم المقيد بشيء من التخصيص: ويسمى النكرة غير المحضة أو الناقصة. وهي النكرة المقيدة بقيد الوصف أو الإضافة فهي تنطبق على بعض الأفراد من دون غيرهم. واكتسبّت بهذا التقييد شيئاً من التخصيص والتحديد وقلة العدد بسبب الصفة أو الإضافة التي بعدها والتي جعلتها أقل إبهاماً وشيوعاً. ومن أمثلة النكرة المخصصة بالوصف قوله تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}[٢٥]. ومن المخصصة بالإضافة، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خمس صلوات كتبهن)[٢٦].

وبذلك يمكن أنْ نقسم النكرة في التعبير القرآني على قسمين؛ الأول: النكرة غير المقيدة بالوصف، والآخر:

النكرة المقيدة بالوصف.

النكرة غير المقيدة بالوصف:

وهي لتحقيق الجنس أو لِذِكر الواحد فيه. وَكِلا الأمرين يحمل أغراضاً بلاغية يحدّدها السياق. فتحقيق الجنس يكون غالباً للمبالغة في الوصف، والإيهام بالكثرة؛ وذلك لأنَّ المبالغة هدف من أهداف التنكير، يقول الله تعالى: {وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[٢٧]، كلمة (رقيباً) نكرة غير موصوفة قال فيها العلماء: (رقيب: فعيل بمعنى فاعل[٢٨] للمبالغة، وهي صفة ثابته للرحمن تجري هنا مجرى التعليل للأمر بالتقوى[٢٩]، فمعنى رقيب: النظر بالبصر أو البصيرة الى أمرٍ مَا ليتحققه على ما هو عليه، ويقترن بذلك حفظ ومشاهدة وعلم بالحاصل مع الرُّقبة[٣٠].

واستعمالها في صفات الله بمعنى الحفيظ[٣١]؛ فهو مراقب جميع أحوالكم وأعمالكم[٣٢]. وعندما يخبر بهذه الكلمة نكرة وبهذا الأسلوب المؤكد لابد أنْ تمتزج في النفس معانٍ كثيرة منها: الخوف من هذا التهديد والوعيد، ومنها الأمن والراحة والاستقرار النفسي وهو نقيض الأول، والسبب في هذا؛ شعور المؤمن بأنه سبحانه كما هو رقيب علينا فهو كذلك رقيب لنا[٣٣].

وهذا جانب من جوانب عظمة القرآن العظيم: اجتماع الضدين في لفظة واحدة، وبأسلوب لا يشعر المتلقي بالتناقض. وهنا نرى أنَّه قد اجتمعت مبالغة الصيغة ومبالغة تحقيق الجنس، وبسبب التنكير مع اجتماع الضدين في كلمة واحدة لتعلّل الأمر المتكرّر بالتقوى في هذه الآية.

النكرة المقيدة بالوصف:

هي النكرة التي إذا وصفت تعلّق الحكم فيها بالوصف فيكون تنكيرها ووصفها لتقرير هذا الوصف

في الذهن[٣٤].

يفهم من هذا أمران: الأول؛ أنَّ النكرة تدلّ على جنس المنكر، والثاني: أنَّ اتباع النكرة بوصفٍ يثبت الحكم الذي يحمله الوصف لهذه النكرة. وقد جاء مثل هذا في القرآن الكريم يقول عزَّ وجل: {وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}[٣٥].

والنكرات (قِيَاماً)، (قَوْلاً مَّعْرُوفًا): ومعنى (قِيَاماً)؛ أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم[٣٦]، ونصبها على أنَّها حال من العائد المحذوف أي: خلقها وأوجدها في حال كونها قياماً[٣٧]، وهذا ما اقتضى تنكيرها.

أمَّا مَا كان التنكير فيه أشدُّ وضوحاً من التعريف فهو في قوله تعالى: {قَوْلاً مَّعْرُوفًا}، فقد حقق التنكير مع الوصف بَعده صورة ذهنية لهذا القول إشارة إلى أنَّ هذا القول قد تعارفتم عليه، وسكنت النفوس به، وأحبته لحسنه عقلاً وشرعاً[٣٨]، حتى صار معروفاً لديكم، أو أنَّ هذا القول يحمل معنى المعروف لما فيه من تطييب النفوس وجبر الخواطر.

ونخرج من هذا إلى أنَّ اللفظة العربية بعامتها، وفي القرآن الكريم بخاصة، تحمل في تنكيرها أهدافاً بلاغيةً كثيرةً ومتنوعةً، مع إرادة الجنس أو ذكر واحد منه.

المبحث الثالث: الأغراض البلاغية التي يحققها التنكير:

ذكر المختصون أسباباً وغاياتٍ للتنكير نوجزها بالآتي:

١- أنْ يكون القصد، الحكم على فرد غير معيّن، كقوله تعالى: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}[٣٩].

فلفظة (رجل) مسند إليه وجاءت نكرة للدلالة على أنَّه فرد منتشر غير معيّن ولا محدّد[٤٠]. فالباري يعني أنَّ واحداً من هذا الجنس أتى وهو مجهول بالنسبة للمخاطَب، فالله تعالى في هذه الآية لم يحدّد رجلاً بعينه، بل هو لفظٌ (رجل) دالٌّ على مسمى شائع في أُمته، وقد قصد الباري عدم تعيينه لأنَّ تعيّنه هُنا يكون زائداً، على ما يقصد بيانه، فتعيين الرجل الذي جاء لموسى (عليه السلام) ليقول له: (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ) لم يذكر الله اسمه، لأنَّ أسمه غير مهم، إنَّما المهم هو جنسه وفرده.

وكذلك لم يذكر اسم الرجل الذي جاء لينصر الرسل الثلاثة في انطاليا، ويدعو قومه لاتباعهم، ويعلن أمام قومه إيمانه واتباعهم، فانتقموا منه وقتلوه، لذلك لم يذكر الله اسمه، واكتفى بذكر أنَّه رجل فقال تعالى: {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}[٤١].

وحكم الاتيان بالنكرة هنا هو لتحقيق أمرين: الوحدة؛ والجنسية. فالقصد يكون متعلّقاً بأحد الرجال، وقد حصل بيان الجنسية، من أنَّه رجل وليس امرأة. وقد ذكر السيوطي أنَّ علَّة تنكير (رجل) وقال بأنَّ السبب هو إرادة الوحدة، أي: رجل واحد[٤٢].

ومن قصد عدم التعيين هو إخفاء الشخص لمصلحة يراها المنشئ، والمصالح من الاخفاء كثيرة يصعب حصرها منها: الخوف عليه، والتشويق اليه، وانتظار المناسبة للمفاجئة به، ومن أمثلة ذلك مَا كان من خبر أُخت موسى عليه السلام ــ، حين قالت لهم كما في قوله تعالى: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}[٤٣]. فقد جاءت بلفظ (بيت) نكرة، وقالت أهل بيت ولم تقل مرضعة، لتلاحظ مدى استجابتهم للعرض، ولتبعد

الشبهة عن أنْ تكون أُمَّه في هذا البيت، خوفاً على أخيها وأمّها[٤٤].

ومن تنكير غير المسند إليه للأفراد غير المعنيين قوله تعالى: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ}.

٢- أنْ يكون مراد المتكلم ذكر واحد غير معيّن من الجنس أو النوع أو الصنف[٤٥]، ومنه قول أخوة يوسف حين تآمروا للتخلّص منه: {اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ}[٤٦]؛ أي: (أرض ما) بعيدة من دون تعيين، فهي أرض نائية مجهولة، بعيدة عن العمران، من يطرح فيها يهلك ويضل طريق العودة[٤٧].

ومنه قوله تعالى: {وَكَأساً دِهَاقاً}[٤٨]، وقد جاء (الكأس) منكراً للدلالة على غير معيّن من الجنس أو النوع أو الصنف.

٣- أنْ يكون للنوعية أو (التنويع)، أي يشير التنكير إلى نوع من أنواع النكرة، كقوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ}[٤٩]. الغرض هنا من التنكير (التنويع): فأنكروا (الظلمات) لأنَّ درجاتهم مجهولة، يقول الزمخشري: (أمَّا ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقاً فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليها ظلمة الليل، وأمَّا ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر، وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة الليل)[٥٠].

وقد جاءت في الآية الفاظ أخرى منكرة مثل: (رعدٌ) و (برقٌ) لأنَّ المراد أنواعاً منها؛ كأنَّه قيل: فيه ظلمات داجية، ورعدٌ قاصف، وبرق خاطف وجمع البرق والرعد مع أنَّهما مصدران للدلالة على الكثرة والتعدّد[٥١].

ومنه قوله تعالى: {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}[٥٢]. والنوعية لغير

المسند إليه، يقول الزمخشري: (ومعنى التنكير أنَ على أبصارهم نوعاً من أنواع الاغطية غير مَا يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلمه كنهه إلَّا الله)[٥٣]

٤- أنْ يكون للتعظيم: بمعنى أنَّه أعظم من أنْ يعيّن ويعرّف، نحو قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِّ وَرَسُولِهِ}[٥٤]، أي: (فأذنوا بنوع من الحرب عظيم، من عند الله ورسوله)[٥٥]. ومن التعظيم والتنبيه على ارتفاع الشأن، قوله تعالى:{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[٥٦]، الغرض هنا من التنكير (التعظيم)، أي: هدى عظيم فخم جليل للمتقين. لأنَّ المتقين مهتدون في الأصل، وإنَّما أراد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته[٥٧]، فنلاحظ كلمة (هُدًى) التي هي مصدر وضع موضع الوصف (هاد) جاءت نكرة، لأنَّ الهدى قسمان: هدى دلالة وهدى معونة وهو اسم يدلّ على شيء غير معيّن مبهم[٥٨].

وممّا ورد في معنى التعظيم تنكير لفظة (خسر) في الآية الكريمة: {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ}[٥٩]. يقول أبو السعود: (أي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم)[٦٠].

٥- للتحقير أو التصغير، بمعنى انحطاط شأنِه الى حدٍّ لا يمكن أنْ يُعرَّف، نحو قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}[٦١]؛ أي ظناً حقيراً لا يعبأ به، وإلَّا لاتبعوه لأنَّ ذلك ديدنهم، بدليل قوله تعالى في آية اخرى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ}[٦٢]، ومنه قوله تعالى: {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}[٦٣]، أي من شيء

حقير مهين، ثم بينه بقوله تعالى: {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ}[٦٤].

يتضّح ممّا سبق أمران؛ الأول: إنَّ في تنكير (ظناً) دلالة قاطعة على التحقير من شأن ظنهم، فالظن ظنان: يقين وشك.

والثاني: بيان غايتهم وإصرارهم على المعاصي وتكبرهم وإعراضهم وانحطاط تفكيرهم، ودناءة غايتهم، وهي أنهم مع تنكيرهم اتبعوا ذلك بقولهم ((وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ))[٦٥]، وهذه دلالة أخرى تتمّم معنى تنكير لفظهم السابق.

ومن التحقير كلمة (عزّا) كما في قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[٦٦]. فالسياق يعطي معنى أنه لا عِزَّ إلّا بطاعة الله وعبادته.

ومنه قوله تعالى: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}[٦٧]، إذ جاء المتاع منكراً، للتحقير والتصغير، أي متاع حقير صغيرٌ سريع الزوال وفيه معنى التقليل أيضاً[٦٨].

٦- التنكير للتكثير:-

ويكون الغرض من التنكير للتكثير؛ وذلك عندما تَدلّ القرائن على قصد التكثير، فإنْ دلَّت القرائن، حسن في الكلام حذف الوصف الدالّ على الكثرة، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة القرينة الحالية أو القرينة المقالية[٦٩]. ومن ذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ}[٧٠]. فعلّة تنكير (أجراً)، هو التكثير، أي: وافراً جزيلاً[٧١]،

ومنه قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا}[٧٢]، أي أُمَمٍ كثيرة في بلدان من الأرض كثيرةٍ فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم[٧٣].

وقد يأتي اقتران التعظيم

والتكثير جميعاً، كقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا}[٧٤]. فـ (رسلُ) هنا لتكثير عددهم ولتعظيم أمرهم.

ومثّل ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}[٧٥]، إذ إنَّ لفظ (رُسل) يحتمل به التعظيم والتكثير، أي: رُسل عظام ذوو عدد كثير[٧٦].

وممّا ورد فيه التعبير مستفهماً على سبيل الافتراض، قوله تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٧٧]. جاء بالاستفهام ليُحدّد لهم فيه أَحدَ خيارين: الأوّل (أ أرباب متفرّقون)، يريد التكثير في العدد والتكاثر وهذا مثل ضربه لعبادة الأصنام، فكثرة العدد مع الاختلاف بينهم[٧٨]، وقد جاء معبّراً عنهم بالتنكير، ويبدو أنَّ فيه الدّلالة على عدم استحقاقهم للعبادة.

والفرق بين التعظيم والتكثير: أنَّ الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلوّ القدر، والثاني يلاحظ فيه الكميات والمقادير[٧٩].

٧- التنكير للتقليل:

للتقليل عندما تدّل القرائن على قصد التقليل نحو قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٨٠]. أيّ رضوان قليل من الله أكبر من الجنات، لأنَّه أساس كل فوز وسعادة وسرور[٨١].

ومنه قول المتنبي يقول:

فيوماً بِخيلٍ تَطردُ الرُومَ عَنْهمُ

ويَومَاً بِجُودٍ يَطرِدُ الفَقَر والجَدبَا[٨٢].

الشاعر ينكر لفظة (خيل) ولفظة (جود) وهو يريد بعدد قليل من الخيل، وبمقدار قليل من جوده فكيف

لو أطلق الجود، وقد دلّ التنكير فيهما على القلة. وهذا المعنى يستشف من سياق المدح.

إنَّ الفرق بين التعظيم والتكثير، هو(أنَّ التعظيم ينظر فيه الى ارتفاع الشأن وعلو القدر؛ والتكثير يلاحظ فيه الكمية والمقدار، وهذا نفسه الفرق بين التحقير والتقليل)[٨٣].

٨- إرادة نوع من الأنواع، أو صنف من الأصناف، نحو قوله تعالى: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}[٨٤]، أي: هذا نوعٌ من أنواع الذكر وهو القرآن[٨٥].

ومنه قوله تعالى: {خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}[٨٦]، التنكير في غشاوة، يقول السيوطي: (التنكير فيه للنوعية، أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس، بحيث غطّى ما يغطيه شيء من الغشاوات)[٨٧].

ومنه قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ}[٨٨]، أي نوع خاص مِنها وهي الحياة المتطاولة[٨٩].

ويحتمل الوحدة والنوعية مَعاً، قوله تعالى: {وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ}[٩٠]، أي: نوع من أنواع متعدّدة، يقول الزمخشري: إنَّ التنكير للفظة (ماء) في قوله (مِنْ مَاءٍ) يعطي معنى أنَّه خلق كل دابة من نوع من الماء مختّص بتلك الدابة[٩١].

ومنه قول الشاعر:

لكلِّ دَاءٍ دواءٌ يستطبُّ به
إلَّا الحماقة أعيت من يداويها[٩٢]

إذ نكَّرَ الشاعر لفظة (داء) ولفظة (دواء)، يريد: أنه لكل نوعٍ داءٍ، دواءٍ يناسبه[٩٣].

٩- الكمال: استشهدوا بقوله تعالى: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وتَوفَّنَا مُسلِمينَ}[٩٤]، فنكرت لفظة (صبراً) لأنَّ السحرة في مأزق أمام فرعون

الغاضب المتوّعد، وهم لا يشترطون نوع الصبر، بل يريدون أي صبر وبأي درجة، لتقوى عزيمتهم ويثبت إيمانهم لمواجهة الصلب وتقطيع الأطراف[٩٥]. والكمال المفهوم من النكرة ليس منها، وإنَّما من لفظة (أفرغ) الدالّة على عدم إبقاء شيء من الإناء أو من إفراغ الماء، ومن دعاء السحرة الصارخ، وحالتهم النفسية، لأنَّ الداعي المستغيث يريد أكبر عون لتخليصه من الخطر المحيط به[٩٦].

١٠- التفصيل: التبيين. والتفصيل هو جمع الشيء فصولاً متمايزة ومنه المفصل: سُميَّ به لكثرة فصوله، أي: سوره، واستشهد الزمخشري في الكشاف لدلالة النكرة على التفصيل بقوله تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[٩٧]، يقول الزمخشري: إنَّ تنكير (خلق) فيه تفصيل؛ لأنَّه بداية، والبداية علمها عند الله ولا يشاركه فيها أحد، ولكونه مجهولاً عند البشر نكر على أصل التنكير في الإبهام[٩٨].

١١- التبعيض: هو (تَفْرِيقُ الشَّيْءِ إِلَى جُزْأَيْنِ فَأَكْثَرَ بِحَيْثُ يَسْتَقِلُّ كُلُّ جُزْءٍ بِحُكْمٍ أَوْ وَصْفٍ يَخُصُّهُ)[٩٩]، ومن التنكير الذي قالو أنَّه جاء لغرض التبعيض، قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا}[١٠٠]. والحقيقة أنَّ العلم درجات ولم يجعلها الله سبحانه كاملة لغيره سبحانه وتعالى والله أعلم.

المبحث الرابع: الألفاظ بين التعريف والتنكير في التعبير القرآني:

ينبغي للبليغ مراعاة الألفاظ في الكلام، إذ لكل منها موضع لا يحسن فيه غيره، فقد يحسن تعريف الكلمة في موضع لا يحسن فيه تنكيرها، بينما نرى العكس في موضع آخر[١٠١]. وقد بلغ التعبير القرآني الغاية في استعماله الألفاظ بما يناسب المعنى المقصود من خلال اختيار نوع اللفظة من

حيث التعريف والتنكير، وفيما يأتي استعراض بعض الألفاظ التي وردت بالحالتين في التعبير القرآني وبيان كيف حققت اللفظة المقصود بدلالة نوعها سواء أكانت معرفة أم نكرةً.

أولاً: (السلام) بين التنكير والتعريف:

وردت لفظة (السلام) في التعبير القرآني بالحالتين، فقد جاءت معرفة وجاءت نكرة، فقد ذكر تنكير (السلام) في قصة يحيى عليه السلام في قوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ}[١٠٢]. وتعريفه باللام في قصة عيسى عليه السلام في قوله تعالى: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ}[١٠٣]، فإنَّما كان ذلك التنكير وارداً في قصة يحيى عليه السلام؛ لأنَّ التحية كانت من جهة الله تعالى في المواطن الثلاثة. وسلام ما كان من جهة الله مغنٍ عن كل تحية، (قليلك لا يقال له قليل)[١٠٤].

ومن ثم لم يَرِد السلام من جهة الله الا منكَّراً، كقوله تعالى: {سَلَامٌ قولا من ربّ رحيم}[١٠٥]، وقوله تعالى: {اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا}[١٠٦]، ولو كانت معرفة لكان لا فائدة في تعريفها.

وأمَّا تعريف السلام في حق عيسى عليه السلام، فإنَّما كان ذلك من أجل أنَّه ليس وارداً على جهة التحية من الله تعالى، وإنَّما هو حاصل من جهة نفسه، فلا جرم جيءَ بلام التعريف، اشعاراً بذكر الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ السلام اسم من أسمائه سبحانه وتعالى، وفيه تعرّض لطلب السلامة، ولهذا فأنَّك إذا ناديت الله باسم من أسمائه، فإنَّك متعرض لما اشتق منه ذلك الاسم، فتقول في طلب الحاجة، يا كريم ؛ وتقول في سؤال مغفرة الذنب: يا عفو، يا غفور، يا رحيم، يا حليم، لما كان ذلك مناسباً ملائماً لما أنت فيه، فلهذا أورده باللام، تعرضاً للسلامة، وطلباً لها باسم الله تعالى، وجؤراً إليه، ومن أجل ذلك كان اختتام الصلاة

بالسلام المعرف بـ (الألف واللام) لكونه اسماً من أسماء الله سبحانه تعالى، لما كان افتتاحها باسمٍ من أسمائه، ومن جوز السلام بغير اللام، فهو بمعزل عن هذه الأسرار ومعرض عن هذه المقاصد[١٠٧].

وبهذا يمكن القول إنَّ لفظ العدول في لفظ (السلام) من التنكير إلى التعريف حقق أموراً ثلاثة؛ الأول هو أنه اسم من أسماء الله جلّ ذكره، والثاني، اشعاره بطلب السلامة والأمان منه جلّ وعلا، والأمر الثالث هو أنَّ التعريف يشعر بعموم التحية وغير مقصورة على المتكلم.

ثانيا: لفظة (ماء) بين التعريف والتنكير:

ومن أمثلة تنكير لفظ (ماء) قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٠٨]، فجاءت لفظة (مَّاء) في هذه الآية الكريمة نكرة ويبدو أنَّ (مِنْ) جاءت لما لا يعقل لوقوعها تفصيلاً لما يعمها وهو (كُلَّ دَابَّةٍ)[١٠٩].

وجاء في تفسير الكشاف: (فإن قلت: لم نكَّر الماء في قوله: (مِن مَّاء)، قلت لأنَّ المعنى أنَّه خلق كل دابة من نوع من الماء المختّص بتلك الدابة، أو خلقها من مَّاء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة؛ فمنها هَوام، ومنها بهائم، ومنها ناس، نحو قوله تعالى: {يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ}[١١٠][١١١].

وعلّل ذلك أبو السعود قائلاً:((مِن مَّاء)، وهو جزء مادة أو ماء مخصوص وهو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل ؛لأنَّ من الحيوانات ما يتولّد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلّق بدابة وليس صلة الخلق)[١١٢].

وما ذهب إليه البيضاوي في تفسيره مطابق لما ذهب إليه أبو

السعود في بيان العلة في هذه الآية الكريمة[١١٣]، وأشار البغوي إلى ذلك قائلاً: ((مِن مَّاء) يعني: من نطفة كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل في الملائكة ولا الجن لأنّا لا نشاهدهم وقيل: أصل جميع الخلق من الماء وذلك أنَّ الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة وبعضه ناراً فخلق منها الجن وبعضها طيناً فخلق منها آدم)[١١٤].

ومن الأمثلة على تعريف لفظة (ماء) قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[١١٥]؛ ففي هذه الآية الكريمة جاءت لفظة (الْماء) معرفة، وعلّل أبو السعود ذلك بقوله: (أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء}[١١٦]، وذلك لأنَّه من أعظم موارده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيّرنا كل شيء حيّ من الماء أي بسبب منه لا بدله من ذلك)[١١٧].

وذهب الآلوسي في تفسيره إلى القول: (الماء هو المعروف أي خلقنا من الماء كل حيوان أي متصّف بالحياة الحقيقية ونقل ذلك عن الكلبي وجماعة ويؤيده قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء}[١١٨]، ووجه كون الماء مبدأ ومادة للحيوان وتخصيصه بذلك أنَّه أعظم مواده وفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه ولا بد من تخصيص العام ؛لأنَّ الملائكة عليهم السلام وكذا الجن أحياء وليسوا مخلوقين من الماء ولا محتاجين إليه على الصحيح)[١١٩].

ثالثاً: (الحق) بين التعريف والتنكير.

ذكر السيوطي علّة تعريف لفظة (الحق) في مواضع وتنكيره في مواضع أخرى، ومن ذلك تعرّضه لنصين كريمين هما: قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي

هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}[١٢٠]، وقوله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[١٢١].

يقول السيوطي: (فإن قلت: ما فائدة تنكير (الحق) هنا، وتعريفه في الآية الأولى من البقرة، ومعلوم أنّه لمْ يُقْتَلْ نَبِيٌّ بِحَقّ؟

والجواب: أنَّه عَرَّفَه لاجترائهم على قتلهم مع معرفتهم بأنَّه بغير حق، ولذلك قرئ بالتشديد[١٢٢]، تعظيماً للذنب والشنعة للذي أتوه، وإنَّما أباح الله تعالى من أباح منهم وسلط عليهم عدوه كرامة لهم، وزيادة في منازلهم، كقتل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين، قال ابن عباس وغيره: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلَّا من لم يؤمر بقتال، وأمَّا من أمر بالقتال فإنَّ الله نصره، وإنَّما عرَّف (الحق) في البقرة إشارة إلى الحق الذي أخذ الله أنْ تقتل النفس به، وهو قوله؛ {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}[١٢٣]، فكان الأولى بالذكر؛ لأنَّه من الله، وما في هذه السورة نكرة، لأنَّه في معتقدهم وتدنيسهم، وكان هذا بالتأخير أولى)[١٢٤].

وهكذا نرى كيف كان للتنكير في سورة آل عمران من مواكبة السياق وتقوية المعنى الذي لائم فحوى المقام بيد أنَّ التعريف في سورة البقرة كان متماشيا مع قتل النفس التي حرم الله إلَّا بالحق، فاستعمل السياق القرآني كل أسلوب على وفق ما يقتضيه المقام، والله أعلم.

الخاتمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أمَّا بعد..

فبعد التوكل على الله تعالى أولاً، والأخذ بأسباب إنجاح الموضوع وخروجه بهذا الشكل ثانياً، توصلّت إلى نتائج مهمة، أوجزها بالآتي:

تناولت الدراسة أسلوب التنكير في القرآن الكريم ودلالاته البلاغية بعد أن وقفت على تعريفه في الدرس النحوي والبلاغي وبيان نوعها ومراتبها، ومن ثم التعرض لأغراض تنكير المسند إليه في الدرس البلاغي ومقاصده، وعرضت أيضا لدور النكرة في النص وما تقتضيه من دلالات في توجيه المعنى.

وقد توصل البحث إلى أنَّ تنكير الألفاظ في القرآن الكريم، إنَّما هو مقصود بالفعل لغاية يهدف إليها المتكلم ليفيد المتلقي زيادة على ما في اللفظ من المعني لو جاء على التعريف، إذ لكل من التعريف والتنكير استعماله الخاص في العربية. وكذلك توصلّت الدراسة إلى أنَّ النكرات تتنوّع في الدلالة حسبما يقتضيه المقام، ويدلّ عليه السياق، بين تعظيم وتحقير، وتقليل وتكثير، وتنويع وتبعيض، وإفراد وإبهام، وتعميم وتخصيص، وتجهيل وتكميل وتحديد، ولاتزال هذه المعاني قابلة للزيادة مادام البحث قائما. حاولنا في كل مبحث أنْ نبرز العلّة التي جاء من أجلها التعبير القرآني على وفق اسلوب التنكير، وعزّزنا ذلك بالأمثلة القرآنية المتنوّعة التي توضح كيفية مؤازرة التعبير القرآني للمعنى من خلال استعمال اللفظ المنكر مفرداً وكذلك من خلال استعمال اللفظ نفسه متعاوراً بصيغتي التنكير والتعريف وبيان قصدية التعبير القرآني في كل سياق...

والله ولي التوفيق

الهوامش:

١- معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٧٦.

٢- ينظر لسان العرب ابن منظور: (مادة نكر):٥/ ٢٣٣.

٣- ينظر المصدر السابق: (مادة نكر)٥: ٢٣٣.

٤- الجمل في النحو: ١٧٨.

٥- اللمع في العربية:٧٤.

٦- شرح الكافية الشافية: ١/ ٢٢٢.

٧- المقتضب. المبرد: ٤/ ٢٧٦.

٨- ينظر: اسلوب التعريف والتنكير في القرآن الكريم. محمد بن زيلعي هندي: ٦٤.

٩- ينظر: دلائل الاعجاز: ١٤٢ ١٤٣.

١٠- دلائل الاعجاز: ١٩٢ ١٩٣.

١١- ينظر: فلسفة البلاغة. رجاء عيد: ٧١.

١٢- البقرة:٩٦.

١٣- البقرة: ١٧٩.

١٤- ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات الاسلامية. محمد حسين ابو موسى.: ٣٦٥.

١٥- دلائل الاعجاز: ١٩٢ ١٩٣.

١٦- تفسير النسقي: ١/ ٥٩.

١٧- تفسير البيضاوي: ١/ ٣٦٥.

١٨- فتح القدير: ١/ ١٨٠.

١٩- ينظر: الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق عبد الحميد هنداوي: ٢/ ٨.

٢٠- النحو الوافي. عباس حسن: ١/ ١٩٢.

٢١- الروم: ٣٦.

٢٢- النمل:٦٠.

٢٣- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل. محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٣م:٦٤.

٢٤- التبيان في علم البيان/ ٥٠.

٢٥- البقرة:٢٢١.

٢٦- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: باب٣٣٧ رقم (٢٤٢٠).

٢٧- النساء:١.

٢٨- ينظر: روح المعاني: مجلد، ٢/ ١٨٥.

٢٩- ينظر: تفسير ابي السعود: ١/ ٤٧٧.

٣٠- ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢/ ٥.

٣١- ينظر: الدر المصون. السمين الحلبي: ٢/ ٢٩٧.

٣٢- ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٤٤٩.

٣٣- نظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢/ ٥.

٣٤- ينظر: دلائل الاعجاز في علم المعاني: ١٩٢.

٣٥- النساء: ٥.

٣٦- ينظر: الكشاف: ١ / ٢٤٧.

٣٧- ينظر: الدر المصون. السمين الحلبي: ٢/ ٣١٠.

٣٨- ينظر: الكشاف: ١/ ٢٤٧.

٣٩- القصص: ٢٠.

٤٠- ينظر: من بلاغة النظم العربي: عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ١/ ١٦١.

٤١- يس: ٢٠

٤٢- ينظر الإتقان ٢/ ٢٩١، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ٤٣.

٤٣- طه: ٤٠

٤٤- ينظر: البلاغة العربية. عبد الرحمن حبنّكة: ١: ٤٠١.

٤٥- ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع). علي عيسى العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكتاب الاول (علم المعاني): ١٢١ ١٢٢.

٤٦- يوسف: ٩.

٤٧- ينظر: تفسير الكشاف: ٢/ ٢٥٨.

٤٨- النبأ: ٣٤.

٤٩- البقرة: ١٩.

٥٠- تفسير الكشاف: ١/ ٢٠٣ ٢٠٤.

٥١- ينظر: المصدر السابق: ١/ ٢٠٤.

٥٢- البقرة: ٧.

٥٣- تفسير الكشاف: ١/ ١٦٥.

٥٤- البقرة: ٢٧٩.

٥٥- تفسير الكشاف: ١/ ٥٠٨.

٥٦- البقرة: ٢.

٥٧- ينظر: تفسير الكشاف: ١/ ١٤٦.

٥٨- ينظر: تفسير الكشاف: ١/ ١٥٠.

٥٩- البقرة: ١٠٦.

٦٠- تفسير أبي السعود: ١/ ١٤٣.

٦١- الجاثية: ٣٢.

٦٢- الأنعام: ١١٦.

٦٣- عبس: ١٨.

٦٤- عبس: ١٩.

٦٥- الجاثية: ٣٢.

٦٦- مريم: ٨١.

٦٧- غافر: ٣٩.

٦٨- ينظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن حبنّكة ١: ٤٠٥.

٦٩- ينظر: المقتضب. المبرد: ٢٨٩.

٧٠- الشعراء: ٤١.

٧١- ينظر الإتقان ٢/ ٢٩٢.

٧٢- الاعراف: ١٦٨.

٧٣- ينظر: تفسير الكشاف: ٣/ ٥٢٧.

٧٤- فاطر: ٢.

٧٥- سورة فاطر: الآية ٤.

٧٦- ينظر الإتقان ٢/ ٢٩٢.

٧٧- يوسف: ٣٩.

٧٨- ينظر: تفسير الكشاف: ٢/ ٢٨٥.

٧٩- ينظر علوم البلاغة للمراغي ١١٦.

٨٠- التوبة: ٧٢.

٨١- ينظر: تفسير الكشاف: ٢/ ٦٧.

٨٢- شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمن البرقوقي: ١/ ١٨٨.

٨٣- المعاني في ضوء أساليب القرآن/ ٢٤٧.

٨٤- ص: ٤٩.

٨٥- ينظر: تفسير الكشاف: ٤/ ٢٧٥.

٨٦- البقرة: ٧.

٨٧- قطف الأزهار في كشف الأسرار ١/ ١٨٣، وينظر الكشاف ١/ ٥٣.

٨٨- البقرة: ٩٦.

٨٩- ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ١٣٢.

٩٠- النور: ٤٥.

٩١- ينظر: تفسير الكشاف: ٣/ ٣١٢.

٩٢- البيت منسوب الى المتنبي ولم اجده في الديوان.

٩٣- ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. بسيوني عبد الفتاح: ١/ ١٤٣.

٩٤- الاعراف: ١٢٦.

٩٥- ينظر: الاتقان: ١/ ٤٣٢.

٩٦- ينظر: تفسير الكشاف: ٣/ ٤٩١.

٩٧- الانبياء:١٠٤.

٩٨- ينظر: تفسير الكشاف:١٨/ ٧٣٣.

٩٩- معجم المصطلحات الاسلامية: ١١٠.

١٠٠- النمل:١٥.

١٠١- ينظر: لغة القرآن الكريم: ٣٤٠.

١٠٢- مريم:١٥.

١٠٣- مريم:٣٣.

١٠٤ هو عجز بيت اختلف في نسبته والأكثر ينسب للميكالي، والبيت هو:

قليلٌ منك يكفيني ولكن
قليلك لا يقال له قليل

١٠٥- يس:٥٨.

١٠٦- هود:٤٨.

١٠٧- ينظر: لغة القرآن الكريم. محمود احمد نحلة، مكتبة الآداب، الاسكندرية، ١٩٨١م: ٣٤٠.

١٠٨- النور: ٤٥.

١٠٩- ينظر فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن: أبو يحيى الأنصاري: ٢٨٩.

١١٠- الرعد:٤.

١١١- تفسير الكشاف: ١٨ / ٧٣٣.

١١٢- تفسير أبي السعود: ٦ / ١٨٥.

١١٣- ينظر تفسير البيضاوي: ١ / ١٩٥.

١١٤- تفسير البغوي: ١/ ٥٥.

١١٥- الأنبياء: ٣٠.

١١٦- النور: ٤٥.

١١٧- تفسير ابي السعود: ٦/ ٦٥.

١١٨- النو:٤٥.

١١٩- روح المعاني:١٣/ ١٢٩.

١٢٠- سورة البقرة: الآية ٦١.

١٢١- سورة آل عمران: الآية ١٨١.

١٢٢- يعني «ويُقَتِّلونَ»، وهي قراءة التشديد، وقد قرأ بها الحسن وعلي عليه السلام ــ، ينظر الكشاف ١/ ١٤٦، والبحر المحيط ١/ ٢٣٦.

١٢٣- سورة الأنعام: من الآية١٥١.

١٢٤- معترك الأقران ٣/ ٢٦١.

المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(٩١١ه)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الشريف، المملكة العربية السعودية.

٢. اسلوب التعريف والتنكير في القرآن الكريم. محمد بن زيلعي النسقي، رسالة ماجستير، اشراف الشيخ بن جمعة سهيل، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية المملكة العربية السعودية، ١٤١٥ه ١٩٩٥م.

٣. والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة. محمد بن علي الجرجاني، تحقيق د. عبد القادر حسين الناشر مكتبة الآداب -القاهرة، الطبعة١، ١٩٩٧.

٤. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤.

٥. البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها. عبد الرحمن حبنّكة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ه١٩٩٦م.

٦. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية. محمد حسين ابو موسى، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

٧. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، تحقيق: د. أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤.

٨. التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل. محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٣م.

٩. البحر المحيط في اصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادربن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤ه)، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط٢، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م.

١٠. تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ.

١١. تفسير أبي السعود: المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٢. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تح: خالد العك مروان سوار، دار المعرفة، ط٢، بيروت ١٩٨٧م.

١٣. تفسير البيضاوي، البيضاوي (٧٩١هـ)، تح: عبد القادر عرفات، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ابو القاسم، محمود بن عمر جار الله الزمخشري(ت٥٣٨ه)، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط٣، ١٤٣٠ه٢٠٠٩م.

١٥. الجمل في النحو. ابو القاسم، عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي(ت٣٤٠ه)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الامل، اربد- الاردن، ط١، ١٤٠٤ه١٩٨٤م.

١٦. الدر المصون في علوم المكنون. السمين الحلبي احمد بن يوسف (ت٧٥٦ه)، تحقيق: احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٧. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه)، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر- دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٨ه٢٠٠٧م.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي(ت١٢٧٠ه)، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان.

١٩. سنن ابي داود. ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني(٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، مكتبة المعارف الرياض.

٢٠. شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٧ه ١٩٨٦م.

٢١. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي(ت٦٧٢ه)، تحقيق: عبد المنعم احمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢ه ١٩٨٢م.

٢٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٩ه)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت.

٢٣. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،ط٣، ١٤١٨.

٢٤. علوم البلاغة للمراغي علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع): أحمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤.

٢٥. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن: لأبي يحيى زكريا الأنصاري حققه وعلّق عليه محمد علي الصابوني، عالم الكتب، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٧. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور. رجاء عيد، منشأة المعارف في الاسكندرية، ط٢.

٢٨. قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) دراسة وتحقيق الفاتحة والبقرة، تحقيق: أسماء عدنان محمد سلمان، دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة بغداد، إشراف د. حارث الضاري، ١٩٩٧م.

٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١.

٣٠. لغة القرآن الكريم: عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٣١. اللمع في العربية. ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ه)، تحقيق: سميح ابو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٨٨م.

٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لابن عطية، ابو محمد عبد الحق الاندلسي(ت٥١٤ه)، دار ابن حزم.

٣٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. عبدالله بن احمد النسقي، رسالة دكتوراه. احمد محمد عبد الرحمن. اشراف الدكتور: امين محمد عطية، جامعة ام القرى، كلية اصول الدين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ه.

٣٤. المقتضب. ابو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥ه)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٤١٥ه ١٩٩٤م.

٣٥. المعاني في ضوء أساليب القرآن. د: عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، السلسلة: البلاغة القرآنية، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٦. معترك الأقران في تفسير القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(٩١١ه)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨ه ١٩٨٨م.

٣٧. معجم مقاييس اللغة. أحمد ابن فارس (ت٣٩٥ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩ه ١٩٧٩م.

٣٨. من بلاغة النظم العربي. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب بيروت، ط٢، ١٤٠٥ه ١٩٨٤م.

٣٩. النحو الوافي. عباس حسن (١٣٩٨ه)، دار المعارف بمصر، ط٣.